دعوة إلى الارتقاء!
دعوة إلى الاستثمار الثقافي..

القاص / نزار نجار

الثقافة نمط شامل من أنماط الحياة في المجتمع. وهي أسلوب خاص من أساليب العيش، ومن مظاهرها هذه النظم الاجتماعية والفكرية التي تعلي من أسباب التعاون والتنافس بين الأفراد..

والثقافة مجموعة من المعارف والمهارات والمشاعر، يتميّز بها كلّ فرد عن آخر، ويرى فيها المجتمع قيمة أعلى وقدراً أكبر.. وهي بأي معنى من المعاني ذات أثر عميق في حياة الناس لأنّها هي التي تمدّنا بوجهات النظر إلى هذا العالم الذي نعيش فيه!، والسؤال الذي يطرح هنا: كيف يمكن أن تستثمر الثقافة؟ وهل استطاعت مؤسّساتنا الثقافية أن تخوض هذه التجربة بنجاح؟ !

إنّ الاستثمار الثقافي لا يقاس بالمادة أو الربح دائماً، الاستثمار الثقافي يقاس بما تؤثره الثقافة في مناحي الحياة، وحين تدخل الثقافة كلّ بيت، حين تدخل كلّ مدرسة، كلّ معهد، كل جامعة ، كل مؤسّسة، يرتفع المجتمع وينهض..

وهذا هو الاستثمار الحقيقي للثقافة، أن تتعرّف إلى مسؤولياتك في الموقع الذي أنت فيه، أن تعي دورك وتقدّر ما يقوم به الآخرون، أن توظّف مالاً في خدمة الكتاب والمطبوعة النافعة المبتكرة، ومراكزنا الثقافية، ومؤسساتنا الفكرية تخوض منذ سنوات – وقد رفعت الثقافة عنواناً – تجارب وتجارب، فهي تُعنى بالتراث العربي والإسلامي، والتراث هو ثقافة، وتعنى بنشر الكتب وتوزيعها، وتعنى بإقامة المعارض لها، وهذا العمل ثقافي، وتقدّم أيضاً أنشطة مسرحية، و أنشطة فنية إلى جانب استقطاب المحاضرين والمحاورين والباحثين والكّتاب والمؤلّفين والمبدعين وهذا كلّه تحت مسمّى الثقافة، وهذا كلّه بحاجة إلى فهم الاستثمار المادي، بحاجة إلى التسويق التجاري، بحاجة إلى الإعلان والإعلام من أجل الثقافة والمثقّفين. بحاجة إلى استخدام الوسائط الحديثة والتواصل مع الناس كافة.. ومفهوم الثقافة بعامة يعطي قدراً متأثّراً بالعاطفة والأصالة والتجديد مع احترام الماضي وتقديره، وهو في الوقت نفسه لا يحطّ من شأن ثقافات العالم ولا ينقصُ من قيمتها، والإنسان توّاق – دائماً – إلى المعرفة، الإنسان متشوّق إلى ألوان الأدب والعلم والفن، والثقافة تؤمّن ذلك كلّه!!

مؤسّساتنا الثقافية – اليوم – كثيرة، منها ما تراوح في مكانها، ومنها ما تتقدّم على استحياء، لكن أهدافها تصبّ في تشجيع البحث الثقافي والعلمي والفكري، وتسهم في تطوير حركة التأليف والنشر، وتقديم الخدمات البحثية وتنمية الطاقات والموارد البشرية من خلال الاهتمام بثقافة المرأة وثقافة الأطفال وثقافة بعض شرائح المجتمع من موظفين وعاملين وباحثين ومنتجين وناشرين ومعنيين ومهتمين بأمور الثقافة..

لقاءات ومحاضرات، وندوات ومعارض كتب لا تتوقف همم ونيّات لمواصلة تأدية الرسالة الثقافية، وإيمان قويّ مبعثه بأن الثقافة حياة، والثقافة تجديد وتطوير، والثقافة انطلاق وحضارة ولكن.. ولكن..

أيضاً هناك تقصير ملموس في التسويق الثقافي، تقصير في الاستثمار، تقصير في التنسيق بين هذه المؤسسات الفاعلة، كأنما ليس هناك برمجة أو جدولة أو دعوة إلى التكامل أو تنظيم مشترك، ولو حصل ذلك فعلاً، لو قام المسؤولون فعلاً بشؤون التنسيق والتنظيم والتكامل – على مستوى معقول ومقبول – لتحقّق النهوض في الاستثمار الثقافي، ولكان له الأثر الطيّب والفاعل في المنظومة الثقافية،

إن جهود الاستثمار الثقافي لابدّ أن تنمو وتزداد، وكل عام تزداد جموع الطلاب، وتزداد أرقام المدارس والمعاهد وتزداد الجامعات، تزداد معارض الكتب، تزداد المؤسسات العلمية والعاملون في حركة إحياء التراث والكتب والدوريات والمجلات والصحف والنشاطات الاجتماعية والمؤتمرات وأقنية الفضائيات.. لذا فالوعي بالاستثمار الثقافي سيزداد، والعلاقة بين البنى الاقتصادية والبنى الثقافية شديدة التعقيد، لابدّ من المواءمة بينها، لابدّ من استثمار ثقافي ناهض، ومعرفة شاملة تواكب المشروعات الاقتصادية التنموية، وتؤمن بجدوى العمل الثقافي، ورجال الأعمال والاقتصاديون يتمتّعون على الأعم الأغلب بالحسّ الثقافي، وهم وحدهم يدركون أهمية التنظيم، والمواءمة والتكامل وتحديد الاتجاهات وتوطيد الأهداف السامية.. وحين تتولّد القناعة التامة بأهمية الثقافة كرافد رئيس في الحياة والمجتمع يكون الارتقاء ويكون النهوض انفعّال مع بلوغ الأماني والتطلّعات..